الموازنة بين حسّان العرب وحسّان الهند في المديح النبوي

A Literary Comparison between Ḥassān of the Arabs and Ḥassān of India in Prophetic Praise

محمدعبدالله*

محمد رمضان اشرف**

Abstract

This research presents a literary comparison between two eminent poets: Ḥassān of the Arabs, Ḥassān ibn Thābit, and Ḥassān of India, Ghulām ʿAlī Āzād al-Bilgrāmī, focusing on their Prophetic panegyric (Madīḥ al-Nabawī). The former was the Poet of the Messenger ﷺ in the early period of Islam, while the latter was a distinguished Islamic poet of the Indian subcontinent in the later centuries. Both poets expressed sincere faith and spiritual elevation in their praise of the Prophet ﷺ. Ḥassān ibn Thābit's poetry served as a powerful voice of defense for the Noble Messenger ﷺ and his true religion, responding to the satirical attacks of the polytheists during the formative years of Islam. In contrast, the poetry of Āzād al-Bilgrāmī stands as a translation of profound and genuine love in the later Islamic era, reflecting deep devotion and reverence for the Prophet ﷺ.

Keywords: Prophetic Praise (Madīḥ al-Nabawī), Ḥassān ibn Thābit, Ghulām ʿAlī Āzād al-Bilgrāmī, Literary Comparison, Islamic Poetry, Defense of the Prophet ﷺ, Devotional Poetry, Spiritual Expression.

الملخص:

يتناول هذا البحث موازنة أدبية بين الشاعرين الجليلين حسّان العرب حسّان بن ثابت و حسّان الهند غلام علي آزاد البلكرامي في المديح النبوي ،فأوّلهما شاعر الرّسول في صدر الإسلام وثانيهما شاعر الهند الإسلامي في القرون المتأخرة، وكلاهما قد عبّرا عن صدق الإيمان وسُموّ الرّوح في المدائح النبوية، فكان شعر حسّان لسان الدّفاع عن الرّسول الكريم و دينه القويم والردّ على هجاء المشركين في صدر الإسلام وكان شعر آزاد البلكرامي ترجمان المحبّة الصّادقة في العصور المتأخّرة.

المبحث الأول: حسان بن ثابت

أولا: حياته ونشأته:

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، ثم من بني مالك بن النجار، ويكنى أبا الوليد، وهو الأشهر، وأبا عبد الرحمن، وكان يكني أيضا بأبي الحسام، لمناضلته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه الغازي ولتقطيعه به أعراض المشركين، ويزعم السهل وغيره أن تكنيته بأبي الحسام إنما هي وقت الحرب لا غير.

*محاضر،كلية شادان لوند الحكومية التابعة، ديرا غازي خان.

**أستاذ مساعد، الجامعة الإسلامية بهاولبور-

ولقّب بألقاب عديدة، فقيل له شاعر الرسول عليه الصلوة والسلام، والحسام، وقال شوقي ضيف: وبحقّ سمّى حسان شاعر الإسلام ورسوله الكريم،[1] وعرف باسم أمه: ابن الفريعة.

وأمه الفريعة بنت خالد بن حبيش بن لوذان. وقيل: هي أخت خالد لا ابنته، خزرجية أيضا أدركت الإسلام فأسلمت وبايعت.[2] وهي كانت من قبيلة الخزرج، وبنت عم سعد بن عبادة، سيد الخزرج. وأبوه ثابت بن المنذر الخزرجي كان من سادة قومه، وأشرافهم.

مولده:

ولد حسان في يثرب (المدينة المنورة) قبل مولد نبينا صلى الله عليه وسلم بسبع سنين أو ثمان، يعني سنة ستين ق.هـ (٥٦٤م)، أو سنة إحدى وستين ق.هـ (٥٦٣م)، وهو يبين تاريخ ولادته بواقعة مستغربة، فيقول حسان: والله إنّي لَغلامٌ في سِنّ اليفاعة، أبلغ من العمر سبعاً أو ثماني سنوات، وأعي كل ما أسمع، إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته من فوق أطمة في يثرب قائلاً: يا معشر يهود! فلما اجتمعوا حوله، قالوا له: ما شأنك؟! فقال: لقد طلع هذه الليلة نجم أحمد الذي وُلد فيه.[3]

عاش حسان بن ثابت عمراً مديداً بلغ مائة وعشرين عامًا، منها ستون سنة في الجاهلية، وستون في الإسلام. ومن الطرائف التاريخية المتعلقة بسلالته أن أربعة من أجداده — هو، ووالده، وجده، وجدّه الأكبر — قد عاش كل منهم مائة وعشرين سنة، وهي من النوادر، إذ لم يُعرف في العرب مثل هذا التسلسل من أربعة أجيال من أصل واحد، عاش كل واحد منهم هذا العمر الطويل.[4]

نشأته وتطوره:

نشأ حسان في المدينة بين قومه الخزرج والأوس ويهود المدينة ، وقد كان بين الأوس والخزرج

---

[1] شوقي ضيف، **الأدب العربي**، الطبعة الأولى، مصر: دار المعارف، ١٩٦٠ – ١٩٩٥ م،٢: ٧٩

[2] الجزري، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م،٢: ٦

[3] جمال الدين، أبو محمد، عبد الملك بن هشام: **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثانية، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م،١: ١٥٩

[4] الجزري، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**:٢: ٦

سلسلة حروب تكاد تكون متصلة الحلقات ومن أيامهم يوم بعاث ويوم سميحة ويوم الدرك ويوم الربيع ويوم البقيع إلى سائر أيامهم ووقائعهم مما جاء ذكر أكثره في شعر حسان.

وأبوه "ثابت" كان من شعراء الخزرج وأشرافهم، وكان هو حكَما في يوم سميحة بين الأوس والخزرج. وجده "المنذر" كان زعيما في قومه وشاعرا، وأبو جده "حرام" أيضا كان رئيسا في قومه وشاعرا.

ثم أورث حسان موهبة الشعر أبنائه كما ورثها عن آبائه وأجداده: فابنه عبدالرحمن شاعر، وحفيده سعيد أيضا شاعر، وكذلك له ابنة شاعرة، ولهذا قال دعبل والمبرد: أعرق الناس كانوا في الشعر آل حسان، فإنهم يعدون ستة في نسق كلهم شاعر، وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ابن المنذر بن حرام.[5]

ثانيا: إسلامه ودوره في نصرة الإسلام:

حسان بن ثابت كان من الشعراء الذين أعلنوا إسلامهم بعد سماعهم عن الدعوة الإسلامية. إذ أسلم حسان في المدينة المنورة بعد أن بلغ من العمر نحو ٦٠ عامًا [6]، وهو في ذروة شعره وحكمته. كان إسلامه نقطة تحول هامة في حياته، فقد تحول من شاعر في الجاهلية، يهاجم خصومه ويفُاخر بقومه، إلى شاعر يُدافع عن الإسلام ويهُاجم أعداء النبي ﷺ. ولم يكن فقط شاعرًا عاديًا، بل كان من أبرز المدافعين عن النبي ﷺ باستخدام سلاح الشعر. فقد استخدم شعره في الهجوم على أعداء الإسلام.

تطوير شعره في الإسلام:

أصبح شعره بعد إسلامه في خدمة الدعوة الإسلامية. تميز شعره بعد إسلامه بالعاطفة والروح الدينية، واستخدمه في دعم المبادئ الإسلامية، إضافة إلى تميز أسلوبه في الرد على أعداء الإسلام و إظهار فخره بالإسلام.[7]

ويرى بعض النقاد أن شعر حسان بعد إسلامه قلّت فيه القوة والجزالة مقارنة بما كان عليه في الجاهلية، إلا أنه في المقابل أصبح أكثر تأثيرًا في نصرة الدين والتعبير عن القيم الإسلامية.[8]

---

[5] المرزباني، أبو عبيد الله: **معجم الشعراء**، تصحيح وتعليق : الأستاذ الدكتور ف . كرنكو، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م ، بيروت: دار الكتب العلمية، ٣٣٦

[6] الزركلي، خير الدين بن فارس: **الأعلام**:٢: ١٧٥

[7] الأنصاري، حسان بن ثابت: **ديوان حسان**، تحقيق: الأستاذ عبدأ مهنا:١٣

[8] القرطبي، أبو عمر، يوسف بن عبد الله: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**:١: ٣٤٦

مكانته:

حسان بن ثابت كان صحابيا جليلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان محبوبا بين المسلمين لمكانته الشعرية، وكان من أهم شعراء العرب وأبرزهم، وله مكانة ممتازة بينهم، وهو أحد أعلام الشعر العربي في العصر الجاهلي والإسلامي، ونشأ في كنف قبيلة الخزرج. اشتهر بفصاحة لسانه، وقوة بيانه، وحسن صياغته للشعر، وكان شعره يتميز برقة الأسلوب وجزالة المعاني، فقد أثبت مكانته بين كبار شعراء الجاهلية، مثل النابغة الذبياني وعمرو بن كلثوم. وكان له مكانة عظيمة في الجاهلية.

وأوقف شعره لنصرة الإسلام والدفاع عن النبي ﷺ والمسلمين. فقد كان من أوائل المسلمين الذين استخدموا الشعر كوسيلة للدعوة، ونشر الدين، وأصبحت قصائده سلاحًا معنويًا ضد المشركين.

وكان شعره الإسلامي يتميز بالإخلاص وقوة الحجة، حيث استطاع أن يرد على شعراء قريش الذين كانوا يهجون النبي ﷺ، مثل أبي سفيان بن الحارث وابن الزبعرى.

فحسان بن ثابت من أبرز الشعراء الذين جمعوا بين العصرين الجاهلي والإسلامي. وكان له دور كبير في رفع مكانة الشعر الإسلامي وجعله أداة فعّالة في خدمة الدعوة. وكان لأشعاره تأثير بالغ في الأجيال اللاحقة، إذ غدت مثالًا يُقتدى به لدى الشعراء الذين سخّروا الكلمة لخدمة قضاياهم.

يقول الذهبي: وهو سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس.[9]

وأبو عبيدة يفضل حسان على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في العصر الجاهلي، وشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم في الرسالة، والنبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام.

ويقول: قد اتفق العرب على أن أشعر أهل المدر، أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وعلى أن أشعر أهل المدر حسان.

وقال الأصمعي: حسان بن ثابت كان من فحول الشعراء في الجاهلية.[10]

وقد سمع النابغة الذبياني شعر حسان فقال له: إنك لشاعر. وكان الأعشى صديقه وشهد له

---

[9] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م، مؤسسة الرسالة، ٢: ٥١٢

[10] الجزري، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**،٢: ٦

بالشاعرية.[11]

واعتبره الحطيئة من أشعر العرب لأجل بيت قاله، حيث يقول: أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهر كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل

وجعل بن مروان بيت حسان هذا من أمدح ما قالته العرب من الأبيات.[12]

وحسان بن ثابت كان ينافح، ويفاخر، ويناضل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يثني علي شعره، ويحثه على الرد على المشركين، ومن أقواله المشهورة: " اهجهم – أو قال: هاجهم – وجبريل معك "، ومنها: "اللهم أيده بروح القدس".[13] قال ابن بطال في شرح هذه الرواية: وكفى بهذا شرفا وفضلا للعمل والعامل به.[14]

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الله يؤيد حسان بروح القدس بما نافح أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".[15] فيقول عبد الله بن بريدة: أن روح القدس –جبريل– ساعده على مدحه الرسول ﷺ بسبعين بيتاً.[16]

وهو أول من بدأ فن الشعر في المديح النبوي. وكان يجله الخلفاء الراشدون، ويفرضون له في العطاء، ويقال إنه وفد على معاوية، وقد عمي في آخر عمره.[17]

ثالثا: المديح النبوي في شعره

بعد الإسلام، انتقل حسان بن ثابت إلى مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكان له دور

---

[11] البرقوقي، عبد الرحمن: **شرح ديوان حسان بن ثابت**:٢٧

[12] القرطبي، أبو عمر، يوسف بن عبد الله: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: ١: ٣٤٧

[13] البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة الأولى، مصر: دار طوق النجاد، ١٤٢٢ هـ ،٨: ٣٦

[14] ابن بطال، أبو الحسن، علي بن خلف بن عبد الله: **شرح صحيح البخارى لابن بطال**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة الثانية، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ٩: ٣٢٦

[15] الأصبهاني، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله: **معرفة الصحابة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الطبعة الأولى، الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ٢: ٨٤٥

[16] الإفريقي، ابن منظور الأنصاري: **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، الطبعة الأولى، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م، ٦: ٢٩٤

[17] شوقي ضيف، (الدكتور): **تاريخ الأدب العربي**:٢: ٧٩

مهم في الدفاع عن النبي باستخدام شعره. وهو أول من بدأ فن الشعر في المديح النبوي.[18] ، واعتُبر من أبرز شعراء المدح الذين وصفوا شخصية النبي صلى الله عليه وسلم في شعرهم.

فقد قال قصائد عديدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، منها قصيدته الشهيرة:

أغرّ عليه للنبوة خاتـــــــــــــــم	من الله مشهود يلوح ويشهـــــــد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمـــــــه	إذا قال في الخمس المؤذن أشهـــد
وشق له من اسمه ليجلّـــــــــــه	فذو العرش محمود وهذا محمـــــد
نبي أتانا بعد يأس وفتـــــــــــرة	من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهـــــــاديا	يلوح كما لاح الصقيل المهنـــــــد
وأنذرنا نارا وبشـــــــر جنـــــــة	وعلمنا الإسلام فالله نحمـــــــــد
وأنت إله الخلق ربي وخالقـــــــي	بذلك ما عمرت في الناس أشهـــد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا	سواك إلها أنت أعلى وأمجـــــــــد
لك الخلق والنعماء والأمر كلـــــه	فإياك نستهدي وإياك نعبـــــــــد[19]

يبرز الشاعر في هذه القصيدة صفات الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل عام، فهو نبي مرسل من عند الله، وعليه خاتم النبوة، وهو ذو مكانة عظيمة، وهو سراج منير، وهادٍ إلى الخير. وهو كمصباح الدجى المتوقد ويصفه بالجمال في الخلق والأخلاق. وفي الأبيات الأخيرة، يشهد الشاعر بأن الله هو الخالق والمعبود الوحيد، المنزه عن أي شريك. وفي النهاية، يثني على الله ويطلب منه الهداية ويخص العبادة له وحده.

وفاة حسان بن ثابت:

قد وقع الخلاف بين المؤرخين في وفاته، فقال البعض: أنه توفي في المدينة في خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ما بين سنتي ٣٥ و ٤٠ هـ، وكان عمره حينئذ مائة وعشرين عاما.

وقال الآخرون، منهم ابن قتيبة الدينوري أن حسان بن ثابت مات في عهد معاوية بن أبي

---

[18] درنيقة، محمد أحمد: **معجم أعلام شعراء المدح النبوي،** تقديم: ياسين الأيوبي، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال: ١١٤

[19] الأنصاري، حسان بن ثابت: **ديوان حسان بن ثابت،** تحقيق: دكتور عمر فاروق الطباع: ٤٩

سفيان رضي الله عنه ما بين عامي ٥٠ و ٥٤ هـ.[20]

المبحث الثاني: غلام علي آزاد البلكرامي

أولا: حياته ونشأته:

النسب حسيني، من أصل واسطي، وترعرع في بلكرام، وما ذهب إليه حنفي، وما تطرق إليه فجشتي.[21]

في كتبه مثل "سبحة المرجان" و"مآثر الكرام" و"خزانة عامرة"، قدم آزاد نفسه بهذا التعريف، ويعود نسبه إلى عيسى مؤتم الأشبال بن الإمام زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين بن سيد الشهداء الإمام حسين بن علي عليهم الصلاة والسلام.[22] وقد هاجر أسلافه من واسط (العراق) إلى الهند، وكان جدهم الأعلى سيد محمد (صاحب دعوة) صغرى مرتبطًا بمحكمة سلطان التمش وكان مريدًا لقطب الأقطاب خواجة بختيار كاكي الجشتي.[23]

ولادته وتعليمه:

وُلد آزاد يوم الأحد ٢٥ صفر ١١١٦ هـ في بلكرام[24]، ونشأ في نفس المكان وهناك قضى الصبا وعنفوان شبابه. وُلد في بيئة علمية ودينية، وترعرع في أجواء روحانية وصوفية، وكان أجداده من الأب والأم بل عائلته بأثرها مصدرٌ دائم للعلم والفهم، فكان غير مضطر لأن يذهب إلى مكان آخر ليشرب من معارفه، إذ كان يمكنه الحصول على كل ما يحتاجه من التعليم من كبار عائلته في بلكرام. وقد تلقى آزاد تعليمًا تقليديًا في بلكرام على يد كبار عائلته، حيث لم يذكر في كتبه أسماء معلميه فحسب، بل ذكر المواد التي درسها منهم. وفقًا لهذه الكتابات درس العديد من الكتب الدراسية على يد سيد طفيل محمد أترولوي (توفي ١١٥١ هـ)، وتعلم الحديث، واللغة، والسيرة من جده سيد عبد الجليل البلكرامي، وأخذ علم الأدب والعروض والقافية من عمه سيد محمد البلكرامي (توفي ١١٨٥ هـ).

---

[20] الدينوري، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **الشعر والشعراء**،١: ٢٩٦

[21] البلگرامي، غلام علي آزاد: **سبحة المرجان في آثار هندوستان**، تقديم وتحقيق: محمد سعيد الطريحي: ٢٠٧

[22] حسن عباس، (الدكتور): **احوال وآثار مير غلام علي آزاد بلگرامي**:٣٨

[23] حسن عباس، (الدكتور): **احوال وآثار مير غلام علي آزاد بلگرامي**: ٣٩

[24] الحسني، عبد الحي بن فخر الدين: **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩م،٦: ٧٧١

وفاته:

وتوفي سنة ١٢٠٠ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٨٥م ببلدة أورنگ آباد، فأرخ لوفاته بعض أصحابه من اسمه " آه غلام علي آزاد".[25] وكتب على لوح قبره: "هو الحي القيوم".

ثانيا: آزاد البلكرامي في عين النقّاد

لقد حظِي آزاد البلكرامي باعتراف واسع لدى العرب والعجم معاً، فكلّهم يعترفون بسعة علمه وبراعته باللّغة العربية وأدبها ورسوخ قدمه في قرض الشعر بها، فله دواوين شعرية عربية يبلغ عددها ألاف شعر، يقول العلّامة فقير محمد الجهلمي:

"إن آزاد خلّف سبعة دواوين عربية تعرف باسم: "السبع السيّارة"،جرّب فيها أنماطاً شعرية مبتكرة لا تكاد توجد عند غيره من شعراء الهند كما أبدع في مدائحه النبوية معاني سامية وتعابير نادرة، لا نظيرلها في كلام كثير من فحول الشعراء المتقدّمين".[26]

ويقول الدكتور أسلم الإصلاحي:

"إن آزاد لم يهتم في إنتاجاته الشعرية بالصنائع والبدائع اللفظية فحسب، بل إنما أتى فيها بحظ وافر من الأفكار والأساليب الهندية منحرفا عن التقليد المحض، فنظرا إلى هذا يمكن لنا أن نقول: إن آزاد قد أضاف باباً جديدًا في الأدب العربي".[27]

وإنه كما استخدم في شعره أساليب هندية كذلك استخدم ألفاظا ومصطلحات هندية أو فارسية، واستعمل كثيرا من الصنائع والبدائع التي كانت شائعة في الشعر الفارسي ولم تكن معروفة في الشعر العربي، فشعره مصبّغ بطبيعة الثقافة العجمية وبيئتها.

ولِذا قد استعرض بعض النقّاد والمحققين شعره العربي استعراضاً انتقادياً بأن العُجمة غالبة عليه وأنه لا يلتزم أساليب البيان العربي وأن شعره معقّد بغوامض الصنائع والبدائع الأعجمية، وفي طليعتهم مولانا محمد باقرآكاه الذي كان من معاصريه ومعروف أن المعاصرة أصل المنافرة ،فإنه أورد على

---

[25] الحسني، عبد الحي بن فخر الدين: **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**: ٦: ٧٧٣

[26] الجهلمي، فقير محمد: **حدائق حنفية**: ٢: ٤٧٢، كراتشي، مكتبة ربيعة.

[27] فاروقی، عماد الحسن ، ***ہندوستان میں عربی ادب اور علوم اسلامیہ کی تدریس و تحقیق***:انڈیا،مکتبہ جامعۃ نئی دہلی: 141.

شعره وفنه أربعمأة إيراد وصنّف كتاباً باسم :"چهار صد إيراد بر كلام آزاد" وكان من سببه أن آزاد البلكرامي أرسل إليه قائمة تتضمّن سبعين خطأ في لغة آكاه وشعره، وهذا أزعجه، فكتب الكتاب المذكور واشتدّت الخصومة، وجرت المناقشة بينهما إلى أربعة عشر أعواما، ثم وقعت المصالحة والموافقة بينهما أخيراً فتبدّلت العداوة بالمحبّة.[28]

وقد تناول العلاّمة شبلي النعماني وكذلك الأستاذ أبو محفوظ كريم المعصومي شعره بالنقد والتحليل، فيقول شبلي النعماني:

"إن نظم آزاد العربي والفارسي وإن كان كثيرا فإن الحقيقة أنه نقطة في وجه كماله، ولا شك أنه يعدّ من كبار أدباء العربية وكان أديباً بارعاً متطلعاً على الكتب الأدبية النادرة والمعاجم والمحاورات العربية الجيدة، ولكن العُجمة في شعره بلغت حدًّا يصعب معه أن يسمىٰ شعرا عربيا وهو يفتخر بأنه نقل أفكار العجم إلى العربية، غير أن أهل النقد والتحليل يرون أن هذا ليس فضيلةً بل عيباً".[29]

ويقول أبو محفوظ كريم المعصومي:

"إن أبرز شيء يعدّ مميّزة شعر العلامة آزاد وجهة نظر الشعر الهندي قد يكون ذلك أكبر عيب في كلامه من وجهة نظر الشعر العربي، دخلت في شعر آزاد تعبيرات هندية حتى أصبح كلامه لا يخلو فيها في أيّ حال من الأحوال ولذلك لا نجد في كلامه أساليب عربية".[30]

إذا أمعنا وتأمّلنا في الانتقادات المذكورة نجد فيها نوعا من التعدّيات والتجاوزات عن أصول النقد وميزانه، لأن هؤلاء النقّاد لم تدركهم الحقيقة أن آزاد لم يكن من شعراء الجاهلية أو صدر الإسلام كما أنه لم يكن من الشعراء الذين برزوا بعد النهضة العربية، فقد عاش في العصر التركي الذي يعدّ عصر الانحطاط بالنسبه للأدب العربي، فينبغي أن يدرس في سياق عصره وأن يقوّم بمعاييره، فلا يجوز التقليل من شانه لمجرّد اشتمال شعره على تعابير أو أفكار معرّبة.

فآزاد شاعر أعجميّ وتأثّر شعره بالعُجمة أمر طبيعي لا غرابة فيه، ومثل هذه الظواهر اللّغوية والأسلوبية نجدها واضحة في أشعار كبار الشعراء العرب ،فيقول العلامة ابن خلدون في المتنبي والمعرّي:

---

[28] الدكتور، عمر وي ايم: مجلة التلميذ العربية، سنة النشر: جنوري٢٠٢١

[29] نعماني، محمد شبلي: مقالات، طبع دوم، مطبع معارف اَعظم گڑھ،1955ء،۴: ۱۲۶

[30] حسين، محمد محامد: حسان الهند، مجلة الداعي، العدد:۴، مارس ٢٠١٢ء.

"كان الكثير ممّن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أنّ نظم المتنبي والمعرّي ليس هو من الشعر في شيء، لأنهما لم يجريا على أساليب العرب فيه".[31]

فلابدّ من مراعاة عوامل العصر والبيئة عند الانتقاد على إنتاجاتهما الأدبية، لأن مثل هذه المراعاةمن أهمّ مقوّمات النقد الأدبي.

وإذا قيس آزاد وشعره بغيره من شعراء عصره يتبيّن أنه أوّلهم وأفضلهم، فقد قال الدكتور عبد المقصود الشلقامي:

"إذا قارنا شعر آزاد بغيره من معاصريه من العصر التركي وجدنا أنه القمّة لايكاد شاعر من معاصريه أن يسمو إليه".

وقد شبّهه بالشاعر الرائد البارودي فقال:"لقد كان شاعرنا آزاد فحلاً رائدًا من طراز البارودي".

ثم علّل قلّة شهرته بقوله:

"ولكن لم تسلّط عليه الأضواء حيث وجد في بيئة غير مستعدّة لاستقباله".[32]

قصارى القول أن آزاد أديب بارع وشاعر متضلّع وإن تأثّر شعره بالبيئة الهندية وثقافتها، إلا أن الغالب على شعره لفظاً ومعنىً وقالباً وروحاً جار على منوال الشعراء العرب، فقد استخدم التراكيب العربية واستعان بالتشبيهات والاستعارات العربية والتزم بأساليب البيان العربي ونظم شعره في بحور العربية و أوزانها وهيئاتها وصُنوفها، كما أنه في الموضوعات سار في الغالب على نهج القدماء، فلايصحّ أن يحكم على شعره كلّه بأنه خاضع العُجمة، بل إنّ كثيرا من الأدباء والنقّاد العرب المعاصرين يقرّون بأن أكثر شعره عربي السّليقة.

ثالثا: المديح النبوي في شعره:

لقد جرّب العديد من أنواع الشعر، ونظم في الأغراض المتنوعة من المدح والوصف والغزل والرثاء وغيرها، إلا أن المدح والغزل يشكلان جوهر نتاجه الشعري وأغلب ديوانه، فيقول بنفسه:

"إني نظمت سبعة دواوين في اللسان العربي وسميتها بالسبعة السيارة، أكثرها في التغزل،

---

[31] ابن خلدون، عبد الرحمن: **مقدمة ابن خلدون**: (الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ)،١: ٧٩٠

[32] الشلقامي، عبد المقصود: **شعر غلام علي آزاد البلگرامي**، أطروحة الدكتوراة، (جامعة بنجاب، ١٩٧٤ء)،٥٥

وتوّجت رأس كل ديوان بمدح النبي صلى الله عليه وسلم تيمّنا".[33]

مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

وتستند عظمة مولانا آزاد وسمعته في الشعر العربي إلى القصائد التي نظمها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، منذ نعومة أظافره، كان مولانا آزاد مخلصًا لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع مرور الوقت ازداد تعلقه به، حتى قرر أن يخصص شعره لمدح هذا الممدوح الأعظم، مما جعله يبتعد عن كل أفكار أخرى وتشبث بفكرته النبيلة دون انحراف أو تردد.

كان مولانا آزاد شاعرًا حيث يعتبر الشعر القصيدي جزءًا أساسيًا من أسلوبه، حيث كان كل شاعر يسعى للبحث عن ممدوح ما، كذلك كان آزاد يسعى للبحث عن ممدوح، ولكن آزاد قرر في وقتٍ مبكر أن مدحه سيكون موجهاً للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، حيث كان ممدوحه هو أفضل خلق الله، وأعظمهم، وممدوح كل العالم.

مديحه ومنهجه:

إن آزاد قد التزم في مدائحه بالنهج التقليدي للشعراء القدماء من الجاهليين والإسلاميين، إذ يفتتح قصيدته غالبًا بالغزل والنسيب ووصف النساء، كما يظهر ذلك جليًا في قصائد شعراء الإسلام كحسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك رضي الله عنهم.

فعلى سبيل المثال، نجد كعب بن زهير رضي الله عنه يبدأ قصيدته "البردة" التي ألقاها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بوصف النساء والتشبيب بهن، حيث يقول

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبـــــــــــول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا   إلا أغن غضيض الطرف مكحول[34]

وقد اتبع آزاد أسلوب الصحابي كعب بن زهير رضي الله عنه، بل جعله أستاذا له في هذا المجال:

نسجت كابن زهير برد مدحته   لقد غدا قلم الأستاذ منوالـي

---

[33] البلگرامي، غلام علي آزاد، دواوين آزاد، المخطوط:٢٩٤

[34] القرشي، أبو زيد، محمد بن أبي الخطاب: **جمهرة أشعار العرب**، الطبعة،(مصر: نهضة مصر للنشر والتوزيع)، ٦٣٢

جعلت تعريفه ذخرا لآخرتـــي ومدح خير البريا خير أعمال[35]

فأسلوبه أنه يبدأ بالتشبيب أولا، ثم يتجنب بعض المواضيع، ثم يمدح الشخصية الرئيسية، وأخيرا ينتهي بالاستغاثة، ولفهم أسلوب التشبيب علينا أن نركز أنظارنا على الأشعار الابتدائية للقصيدة. يقول:

لمحت إلي بعينها الكحــــــــلاء فمرضت طول العمر بالسوداء

أسرت قلوب العـــاشقين فطوفت أجيادها، بعيونها النجـــــلاء

ضاءت غدائرها بنور مبينهــــــــا فيهن حسن الليلة القمـــــراء

ميساء خلفت الظبـــــاء وكيف لا إن السابق سنة الأكفــــــاء

ياقوم في أرض الغـــــدير جـــاذر أصداغهم سلاسل الأســـاء

هي ظبية سلبت عقول أولى النهى مشهورة بعقيلة الدهنـــــــاء[36]

في تشبيب مولانا آزاد البلكرامي ، يتم التركيز على شدة الفراق، والعجز عن التواصل، وطوارئ قتل العشاق. على غرار عادته هو لا يروي قصص الفراق المؤلمة أو يكرر حكايات الفقد، بل يعرض قصة الحب بطريقة مختصرة، حيث يعمد عادةً إلى مقارنة الحبيب بالغزال، الذي يكون غالبًا سريع الحركة والاجتناب والهروب.

جوانب المدح:

قد تناول آزاد جملة من فضائل النبي الكريم ومناقبه، وما ارتبطت بسيرته العطرة من وقائع وأحداث، ومن بين الجوانب البارزة في محتوى المدح نجد ما يلي:

1 .جمال الشكل :

يذكر المداحون الصفات الظاهرة، وهذا التقليد بدأ منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم، حيث كان يشَبَّهُ وجه النبي النوراني بضوء الشمس أو بنور القمر، يعبر آزاد عن إشراقة الجمال، ويتغنى بنور الجمال، ويطلب من الله نورًا لقلبه المظلم.

ويقول:

برهان رب العالمين حبينــــــه في الأمة الأمية العربــــــــاء[37]

---

[35] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**:٣٥

[36] البلگرامي، غلام علي آزاد: **أرج الصبا في مدح المصطفى**:٢

محمد نور الأكوان قاطبــــــة | في النور بدا في هيكل البشـر
الفاه أسنى من الأقمار واصفه | فإن جوهره صاف عن الكدر
ما إن رأيت شريكا في ملاحته | ولا سمعت به والسمع والبصر
لقد أشار فشق البدر إصبعــه | كجنة قطعت بالصارم الذكر[38]
تبارك الله بدر لا محاق لـــــه | وخاتم فصه نور بلا حـــــول[39]
عديم المثل في حسن التغنـــي | وقاها الله عن ريب المنــــون[40]
يا أيها البدر الأصيل كمالــه | ضاعت بنورك مقلة العليـــا[41]
داعي الراعي سراجا في زجاج | اذا ما شرف المختار غـــارا[42]

السيرة الحسنة:

إن السيرة الحسنة والعادات والشمائل هي سبب رئيسي لمدح كل ممدوح، لأنها تمنح الشاعر الحافز لتقديم عرض طلبه، وتُثير في نفسه الأمل في العفو والرحمة، في ذكر الأخلاق العالية، غالبًا ما يتم التطرق إلى العفو والرحمة، والشفقة والمحبة، وذكر الهدى والإرشاد من قبل المرشدين. لكن أسلوب "آزاد" يظل أسلوبًا ذاتيًا (موضوعيًا)، لذا فهو يختار تلك الصفات التي كان لها تأثير مباشر عليه، مثل الخلق العظيم، والكرم اللامحدود، ورحمة العالمين، على سبيل المثال.

محمد عطر الأخلاق قاطبـــة | في الطيب خزامي خلقه الحســن
تبارك الله ما أسناه من شمـــع | به أضاء ظلام البيد والمـــــــدن[43]
أبي القاسم النور المضيئ محمد | مشنف أسماع الورى بالبشائــــر

---

[37] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**:٣
[38] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**: ٢٢
[39] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**:٣٠
[40] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**:٤٦
[41] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الثالث**، الهند: كنز العلوم،(حيدر آباد، دكن)،٤
[42] البلگرامي، غلام علي آزاد: **سبحة المرجان في آثار هندوستان**: ٣٢
[43] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**: ٤٤

ثمال الورى قطميرها ونقيرهـــا   أجار الذي ينمو بأرض المشاعر[44]

يا أيها البارق الفياض مبتسما   ندي يديك على الآفاق مبذول[45]

لا غزوان خمدت نار على يده   أليس في يده ذخر من الديم[46]

إن في ذكر الانشغال عن الدنيا وذكر عادة العفو والكرم تترائى قوة أزاد القلمية الملحوظة، كما قال:

ما استعمل المصطفى ما قل من ذهب   فكيف يحتمل الأطواد عقيانا[47]

وبنفسه كان طالب هذه السماحة:

جنانك غيث يستغيث به الورى   وأنى لعود يصطلي في المجامر[48]

خصائص وامتيازات المدح هي الجزء الأهم في الشعر المدحي، في الخصائص يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول مخلوق، وأول نبي، كما يُذكر خصائص ولادته المباركة والشرف الأسري له. وهو الإنسان الكامل، ورحمة للعالمين، والسيد الأعظم، والنبي الذي لا مثيل له، والقائد الذي لا عديل له، وباعث خلق الإنسان. كما يذكر أنه أفضل الأنبياء وخاتم المرسلين، وهذه الخصائص تعتبر من أهم المواضيع في المدح الذي يقدمه الشعراء. وقد ذكرها آزاد أيضًا، لكنه لم يكتفِ بذكر هذه الخصائص فحسب، بل جعلها جزءًا من حياته الداخلية، ووفر لها تأثيرًا شخصيًا في سلوكه وأعماله.

الخلق الأول:

خلق الإله ضياء أحمـــــــــد أولا   وسناه انتج سائر الأكـــوان

أهوى أبوه من السماء على الثرى   وهو ارتقى في العرش للقيان[49]

النجابة الأسروية:

شجر ترعرع في حديقة هاشم   أكرم بدوح في العلامة أصـــــل[50]

---

[44] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**: ٢٣

[45] البلگرامي، غلام علي آزاد: **أرج الصبا في مدح المصطفى**:٢٣. / البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الثالث**: ١١

[46] البلگرامي، غلام علي آزاد: **أرج الصبا في مدح المصطفى**: ٢٨

[47] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**: ٤٢

[48] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**: ٢٤

[49] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الثالث**: ١٧

قد طهر الله يوم الشق جوهره	هذا حسام من الأصداء مصفول[51]
من معشر الإنسان إلا أنـــه	إنسان عين المجد والعليـــــــــاء[52]
فوق العباد وبعد الرب مرتبـة	وجوهر نزه عن وصمة المثـــــــل[53]
محمد الهادي إلى الحق دينـــه	سراج إلى صبح القيامة لامـــــع[54]

المعجزات:

مدح معجزات النبي صلى الله عليه وسلم هو أبرز جزء في شعر المدح، ومن المتطلبات الأساسية في قصيدة المدح هو أن يتم تسجيل عظمة الشخص الممدوح في ذهن المستمع، وكلما كان هذا التأثير أكثر وضوحًا وشمولًا، كان نجاح القصيدة أكبر. بما أن المعجزات خارقة للعادة، فإنها تكون محير العقول وحاملة للظواهر غير المألوفة، ولذلك يكثر المداحون من ذكر المعجزات، لقد كانت المعجزات جزءًا لا يتجزأ من الشعر في جميع العصور، من عهد الصحابة رضي الله عنهم وحتى العصر الحاضر.

وقد خصص الكثير من شعراء المدح جزءًا من قصائدهم لذكر المعجزات، وأحيانًا يكون القصيدة بأكملها مكرسًا لذلك. قد ذكر "آزاد" المعجزات بشكل طويل، وعبر عن العديد من المعجزات في قالب شعري، لكنه يتميز بخصوصية واضحة في ذكر المعجزات، حيث كانت لديه رغبة عميقة في أن تكون معجزات النبي صلى الله عليه وسلم جزءًا من حياته الداخلية. كان يتمنى أن يكون هو أيضًا جزءًا من هذه المعجزات،وأن تلقى عليه نظرة الإعجاز وأن يتمكن من إسماع قصته المأساوية على باب الرسول صلى الله عليه وسلم كالظبي وأن يظله سحاب الرحمة والبركة وأن يستقي من عيون انفجرت من أنامل الرسول صلى الله عليه وسلم وأن يودي شهادة صدق نبوته صلى الله عليه وسلم ووأن يصبح المعراج عنصر توجهه لأنه رمز الارتقاء الإنساني وأن يسرد كلاما عن شق القمر وما إلى ذلك.

---

[50] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**: ٣٨

[51] البلگرامي، غلام علي آزاد: **أرج الصبا في مدح المصطفى**: ٢٣

[52] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**:٣

[53] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**: ٣٠

[54] البلگرامي، غلام علي آزاد: **أرج الصبا في مدح المصطفى**: ٢٢. / البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**: ٢٨

فحوى الكلام:

قد سعى أزاد أن يجعل كل معجزة حظه في القصيدة، وكان يطمح إلى أن يصبح محور هذه المعجزات، ليصير برهانا في هذا السياق، ولم يبين المعجزات بالأسلوب المعروضي ولا المحاكاتي بل بينها في صورة جذابة وفتانة للقلوب، هذا هو أحد الإنجازات الكبرى لآزاد، حيث يعتقد إنسان اليوم المعاصر أسلوبه ذا مصداقية واعتناء.

الإسراء والمعراج:

لقد ذكر آزاد تفاصيل معجزة المعراج باستخدام إشارات مختلفة، من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ومن ثم العروج إلى السماوات العلى وما إلى ذلك، ولكن الموضوع الرئيسي هو توضيح الاعتراضات المادية على الإسراء والمعراج وإجاباتها، مثلا:

قد ارتقى في السماء حقا　　　وحل بالمنزل الرحيب[55]

شق القمر:

كما يتم الإفصاح عن عظمة شأنه بشق القمر كذلك يتم منه إشباع حس تفاخر آزاد، واستخدم في وصف شق القمر تشبيهات رائعة.

أومى إلى فلك الدنيا بإصبعـــــه　　　فالبـدر خر له خرا على الذقن
كأنه نصّف التفاح في طبــــــق　　　أو درهما زائغا من خازن الزمن[56]
وشق بدر الدجى أيما إصبعـــــه　　　نعم وإصبعه مفتاح أفعـــــال[57]
لا ضير إن شق صدر البدر معجزة　　　كفا محياه فينا كاشف لظلــم[58]

المبحث الثالث: الموازنة بين حسان العرب وحسان الهند

يُمثّل كلٌّ من حسانِ بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وغلام علي آزاد البلكرامي، صورتين مختلفتين في الزمان والمكان والثقافة، غيرَ أنّهما يلتقيان في جوهرٍ واحدٍ هو صدقُ التعلّق بمدح سيّد الخلق

[55] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**: ٩
[56] البلگرامي، غلام علي آزاد: **أرج الصبا في مدح المصطفى**:٢٧. / البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**: ٤٤
[57] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**:٣٤
[58] البلگرامي، غلام علي آزاد: **الديوان الأول**: ٤١

صلى الله عليه وسلم. فالأوّل شاعرٌ نشأ في قلب الجزيرة العربية، وتشرّب لسانها الفصيح وبيئتَها القبليّة، والآخر شاعرٌ من أرض الهند، نَهَل من معين العربية والفارسية معًا، وجمع في وجدانه بين الذوق الصوفيّ والبيئة العجمية. ورغم تباعد المناخين، فإنّ حرارة الحبّ النبويّ توحّد بين الرؤيتين وتقرّب المسافتين.

أولًا: الموازنة الموضوعية

أ. حسان بن ثابت: تنوّع الموضوع واتساع التجربة

تدور تجربة حسان حول محور المدح، ولكنّ هذا المحور متشعّبٌ ومتعدّد، فمن موضوعاته:

1. مدحُ الملوك وأشراف القبائل.
2. تمجيد قومه وتمثيل بطولاتهم.
3. الإشادة بأعمال الشجعان والسادة.
4. مدحُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بوصفه أشرف مضامين شعره.
5. مدحُ الصحابة رضوان الله عليهم.
6. الهجاء في الجاهلية ثم في الإسلام دفاعًا عن العقيدة.
7. الفخر القبليّ قبل الإسلام، ثم الفخرُ بالإسلام، وبالتقوى، وبنصرِ الله.
8. شعرُ الدفاع والحمية الدينية.
9. الغزل والنصح والرثاء، وفيه رثاءُ النبي صلى الله عليه وسلم وبعض صحابته.

إنّ هذا التنوّع يدلّ على شاعرٍ يعيش في مركز الأحداث؛ شاعرٍ للدعوة، وشاعرٍ للدفاع، وشاعرٍ للأمّة في آنٍ واحد.

ب. غلام علي آزاد: اختصاص الموضوع وتركّزه

أمّا آزاد البلكرامي ، فإنّ موضوعاته أقلّ اتساعًا، ولكنّها أكثرُ تركيزًا، ومن أبرزها:

1. الكتابة شعرًا ونثرًا.
2. النظم بالعربية والفارسية معًا.
3. الغزل والعشق، ولا سيما وصف محبوبته التي سمّاها مرآة الجمال وخصّها بأوصافٍ دقيقة.
4. الرثاء.
5. وأعظم موضوعات شعره :المديح النبويّ فقط لا غير.

فهو لا يمدح الملوك ولا الأمراء، إلا بيتين قيلتا على سبيل المجاملة، وبذلك ينحصر مركز تجربته الشعريّة في الحبّ النبويّ، دون سواه من مضامين المديح التقليديّ.

ثانيًا: الموازنة الأسلوبية

أ. أسلوب حسان: الفصاحة الأصيلة وروح العربية الأولى

لأن حسانًا ابنُ بيئةٍ عربيةٍ خالصة، فقد تجلّت في شعره سماتُ الفصاحة الأصلية:

1. صفاء اللغة وصدق المحاورات العربية.
2. جزالة التركيب وسلامة البيان.
3. عفوية السبك وبُعده عن التكلّف.
4. حرارة الشعور وعمق الصدق.
5. قوّة النَّفَس في المدح والهجاء والفخر.

فأسلوبه مرآةٌ لروح العرب، فيه سلاسةٌ لا تُنشئها الصناعة، ونبرةٌ حربيّةٌ تُذكّر بجوِّ المعارك والدفاع عن العقيدة والقبيلة.

ب. أسلوب آزاد: أثر العجم وتقلّدية البناء

أمّا آزاد، فمع تمكّنه البارع من العربية، تظهر في شعره ملامحُ العجم واضحةً:

1. رِقّة التعبير، وتعقيد التراكيب، وتأثّر المحاورات بالنَّفَس الفارسي.
2. تلوينٌ أسلوبيّ يحمل روح التصوّف ونعومة البيان.
3. اتّباع البناء التقليديّ للق
4. صيدة على طريقة كعب بن زهير:
5. تشبيب في المقدمة،
6. ثم غَرِيْز للانتقال،
7. ثم المديح النبويّ،
8. ثم الختام بالدعاء والاستغاثة على الطريقة العجمية.

وقد صاغ آزاد هذه العناصر مزجًا بين الذوق العربيّ والبناء الفارسيّ، فكان نتاجه مزيجًا فنيًّا رقيقًا،

غير أنّه يظلّ بعيدًا عن القوة الفطرية التي تميّز شعر حسان.

ثالثا: اختلاف البيئة والتاريخ

حسان ابنُ بيئةٍ بدويّةٍ صلبة، يعيش في مجتمعٍ قبليّ يحتكم للسيف والبيان. وآزاد ابنُ بيئةٍ هنديةٍ فارسية يغلب عليها العلم والتصوّف والرمزيّة والجماليات الرفيعة؛ ولهذا كان شعر الأوّل صورةً للبساطة والقوّة، وشعر الثاني مزيجًا من الرقة والرمز والعجميّة الفنية.

النتائج الرئيسة:

فبعد دراسة علمية عميقة وموازنة نقدية دقيقة توصّلنا إلى ما يلي:

أوّلاً : إن كلا الشاعرين قد اشتركا في محبّة النبي –صلى اللّه عليه وسلم– ومدحه والتعبير عن صدق المحبّة له، والإجلال له، غير أنهما اختلفا في البيئة واللغة والأسلوب الفني، فكان شعر حسّان –رضي الله عنه– لسان الدّفاع عن الرّسول الكريم ودينه القديم والرّد على هجاء المشركين في صدر الإسلام، وكان شعر آزاد البلكرامي ترجمان المحبّة الصّادقة في العصور المتأخرة.

ثانياً : تميّز شعر حسّان بن ثابت –رضي الله عنه– بسعة فنونه الشعرية وتنوّع موضوعاته، فنظم في المدح والهجاء والفخر والحماسة والدّفاع عن الإسلام والغزل والحِكم والمراثي المؤثّرة التي تحمل لوعة الفقد وصدق الإيمان، مع تصوير دقيق واضح للغزوات وأحوال الصّحابة وبطولاتهم فيها.

أما آزاد البلكرامي فقد انفرد شعره بغلبة الغزل والمدائح النبوية مع شيء يسير من الوطنية والرثاء، دون أن يطرق باب الهجاء أو يتعرّض لتفصيل السِّير والجهاد، غير أنه توسّع في ذكر المعجزات.

ثالثاً : يظهر الفارق الجوهري في أنّ حسّان بن ثابت –رضي اللّه عنه– قد جاء شعره ردًّا على هجاء المشركين ودفاعاً عن الدّين، فكان سلاحاً من أسلحة الدّعوة الإسلامية.

أمّا آزاد البلكرامي فكان شعره وجدانياً عاطفياً محضاً بعيداً عن الصّراع أو المواجهة.

رابعاً : من الناحية الفنية يمثّل شعر حسّان –رضي اللّه عنه– قمّة البيان العربي وذروة الفصاحة ويتفوّق في الفن والأسلوب، فيتفرّد في اللّفظ فصاحةً وجزالةً، والمعنى عمقاً وحرارةً، والنظم انسجاماً واتّساقاً، والبلاغة طبيعيةً وعربيةً خالصةً.

أمّا شعر آزاد البلكرامي مع رقّته وجماله فلا يبلغ مبلغه ولا يرقىٰ إلى مستوى المقارنة بل هو دونه بكثير، فتوجد فيه رائحة العُجمة في البنية الإيقاعية والتراكيب والألفاظ والنسج والنظم ولا سيّما في خواتيم القصائد، وهو

أمر طبيعي بالنظر إلى بيئته الهندية وبُعده عن اللّسان العربي الأصلي، مع ذلك كلّه فإنه ثروة أدبية إسلامية قيّمة لدىٰ شبه القارة، يجمع بين صدق الشعور وجمال المعنى و يجدر بالدّراسة والتحقيق.

خامساً: تؤكّد الموازنة أنّ حسّان-رضي اللّٰه عنه- هو المؤسّس الأوّل للمديح النبوي في الشعر العربي، ويبقىٰ عَلماً من أعلامه في الذروةالعُليا وشعره في قمّة الأدب العربي وأعلاها، أما آزاد البلكرامي فقد تأثر بالشعر العربي القديم وحاول أن يجاريه أسلوباً ومعنىً فبلغ منزلة عالية في المدائح النبوية في الأدب الأعجمي، غير أنّ شعره العربي لايخلو من أثر العُجمة وروح التصوّف التي طبعت أسلوبه ومفرداته، مع ذلك يظلّ شعره من أفصح من نظم.

ويخلّص البحث إلى أنّ الموازنة بين الشاعرين المذكورين ليست موازنة نِدّين متكافئين، بل هي موازنة شاعر عربي راسخ متقدّم بشاعر عجمي محبّ متأثّر متأخّر، فحسّان بن ثابت -رضي اللّٰه عنه- يمثّل قمّة البيان العربي ذروة الفصاحة والبلاغة، بينما يظلّ آزاد البلكرامي شاعرًا متضلّعاً في العربية، لكنه لا ينهض إلى حدّ الموازنة الكاملة مع شاعر الرّسول -صلى اللّٰه عليه وسلم-، مع ذلك كلّه فإن كليهما قد أسهم بطريقته في مدح الرّسول المصطفىٰ -صلى اللّٰه عليه وسلم- وبقي شعرهما شاهدًا على سموّ المديح النبوي وخلوده عبر العصور.

التوصيات:

1. توسيع الدّراسات الموازنة بين شعراء العرب والعجم الذين نظموا بالعربية لإظهار مدىٰ عالمية الأدب العربي وتأثيره.
2. إعادة قراءة شعر حسّان بمنهج نقدي حديث يبرز إعجازه الفني دون الإخلال بقدسيته.
3. العناية بتحقيق دواوين آزاد البلكرامي وتحليلها بلاغياً ولغوياً مع إبراز قيمته الفنية والدينية.
4. تشجيع البحوث حول الأدب العربي في شبه القارة الهندية وتحفيز الطلاب والباحثين على دراسته وتحقيق دواوينه وتحليلها لغوياً وأدبياً لإبراز قيمته العلمية والدينية والثقافية، فإن هذا الأدب غني بالنصوص الفريدة التي تمزج بين الثقافة العربية و الهندية.
5. إعداد بحوث ودراسات تبيّن تطوّر المدائح النبوية عبر العصور ومقارنة الأساليب والموضوعات بين شعراء صدر الإسلام والعصور اللّاحقة.

هذا ما تيسّر لي فإن كان صواباً فمن اللّٰه تعالىٰ، وإن كان خطأً فمني ومن الشّيطان، واللّٰه أعلم بالصَّواب، وإليه المرجع والمآب.